خروج
من ثلاث محلات

بقلم
ف. و. جرانت

منشورات بيت عنيا

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

مقدمة

خروج من الثلاث محلات

"فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره. لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة"

(عب١٣: ١٣و ١٤)

هذا النداء يعتبر ملحقاً للرسالة إلى العبرانيين- ملحقاً للتعليم الوارد بها. وكما نعرف، كانت الرسالة إلى العبرانيين هي آخر نداء يوجه إلى المؤمنين من اليهود قائلاً في مسامعهم إن هذا هو الوقت الحاسم الذي فيه ينبغي الخروج من دائرة الديانة اليهودية بالكلية. ينبغي الخروج خارج المحلة الإسرائيلية إذ ليست لهم بعد خدمة في المسكن الأرضي. ولا يمكنهم أن يخدموا المسكن الأرضي وفي نفس الوقت يمكنهم أن يأكلوا من المذبح المسيحي.

هذا المعنى ينطبق أيضاً في الزمان الحاضر. لأنه كما كان لازماً للمسيحيين من العبرانيين في أيام بولس، هكذا هو لازم أيضاً لمؤمني الزمان الحاضر.

نلاحظ قبل كل شيء أن الوقت المناسب الذي كان يجب على المسيحيين من العبرانيين أن ينفصلوا فيه عن الديانة التقليدية كان قد حان منذ زمان، قبل كتابة الرسالة إليهم، لأن الرسالة جاءت لاحقة لهذا الوقت. ذلك الوقت الحاسم كان قد حان عندما غادر مجد الرب لثالث مرة مكانه في وسط إسرائيل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخروج الأول

انسحاب مجد الرب من وسط المحلة في حوريب

التجربة الأولى: إعطاء الناموس الناري

نذكر أن الرب عندما أخرج الشعب من أرض مصر جعل مكانه في وسطهم. وسار بهم إلى جبل سيناء وكانوا في ذلك الوقت قد رأوا فعله العظيم. رأوا أعمال قدرته ورأوا محبته لهم وهم في أرض مصر. لقد صنع لهم خلاصاً عجيباً وسدد أعوازهم، واحتمل تذمراتهم في البرية بنعمة فوق نعمة. والآن يقول لهم "رأيتم كيف حملتم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة... فأجاب جميع الشعب معاً وقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل" (خروج١٩: ٤- ٨).

لكن بكل أسف، ما كان أبسط من أن يطيعوا كلامه وأن يحفظوا عهده، لكن من الجهة الأخرى لو أنهم عرفوا أنفسهم حق المعرفة لما تجرأوا أن يقطعوا على أنفسهم عهداً كهذا الذي تعهدوا أن يفعلوه. فأعطاهم الله ناموسه من جبل سيناء- أعطاهم الوصايا العشر. لقد تبدّل مسلكه معهم. كانت طرقه معهم حتى ذلك الوقت نعمة فوق نعمة. لكنه الآن يعطيهم ناموساً نارياً بلا نعمة. ناموساً لا يقدرون أن يثبتوا أمامه. لكن ذلك الناموس الصارم كان يلزم لحالتهم لأجل اختبارهم لكي يعرفوا مكانهم ومركزهم. ولقد صعد موسى إلى الجبل ليأخذ من الرب هذه الوصايا عينها التي تكلم بها الرب، مكتوبةً على ألواح حجرية لكي تبقى محفوظة بينهم. وقد بقي موسى على الجبل أربعين يوماً، وقبل نزوله من هناك، أي قبل أن يأخذ الشعب لوحي العهد كانوا قد كسروهما إذ سبكوا عجلاً ذهبياً وسجدوا له عند سفح ذات الجبل الذي ارتجف مرة ودخن في حضرة الرب.

كانت هذه خاتمة التجربة الأولى. كانت التجربة قصيرة لكن نهايتها كانت كاملة وتامة والنتيجة أن مكان سكنى الرب أو بالحري مجد الرب انسحب من وسطهم.

وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيداً عن المحلة ودعاها خيمة الاجتماع. فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة" (خروج٣٣: ٧) وهذه الخيمة التي سماها موسى خيمة الاجتماع ليست هي خيمة المسكن التي في وسط الجماعة، بل كانت خيمة أخرى خارج تلك الجماعة كان يلتقي عندها الذين يطلبون الرب أفراداً ومن ثم سُميت خيمة الاجتماع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التجربة الثانية: إعطاء الناموس

ممزوجاً بشيء من النعمة والرحمة

ظاهر أن تلك التجربة الأولى انتهت بقضاء إلهي. لكن الله مع القضاء استعمل الرأفة. وهو، في مطلق سلطانه يستطيع أن يفعل ذلك، "أترأف على من أترأف وأرحم من أرحم". ويستأنف الله معهم السير، ويعطيهم للمرة الثانية الناموس لكنه في هذه المرة يصحبه بإعلان جديد مختلف عن كل ما سبق. إنه يُقرنه بالرحمة ويعلن، وهو يمر قدام موسى، هذا التصريح عن اسمه يهوه "الرب، الرب إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب، وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية ولكنه لن يبرئ إبراءً" (خروج ٣٤: ٦و ٧).

إنه للمرة الثانية يعطيهم الناموس لكن مصحوباً بإعلان عن صلاحه وصبره وغفرانه الإثم والخطية. والناموس، في هذه المرة الثانية، لم يزل ناموساً كما أنهم هم مازالوا تحت المسئولية لأن يحفظوه. لكن الله الآن عتيد أن يمارس طول أناته وغفرانه الإثم والمعصية والخطية. وفي نفس الوقت لا يبرئ المذنب إبراءً.

كان إعطاء الناموس في التجربة الأولى لأجل امتحان الإنسان فيما إذا كان يتقي الله أو يكفر به. لكن ثبت أن الإنسان في حالته الراهنة كافر بالله. وكان إعطاء الناموس أيضاً في المرة الثانية لأجل امتحان الإنسان (الإنسان بصفة عامة وليس فقط إسرائيل) فيما إذا كان يستطيع- بكل المعونات التي يقدمها له الله أن يُصلح من حاله.فلم يزل الناموس عنده لكي يحفظه والله من جانبه يعطيه فرصة كافية ومعونة لكي يحاول من جديد. وهذا ما يقوله حزقيال النبي "عند رجوع الشرير عن شره وعند عمله بالعدل والحق فإنه يحيا بهما نفسه" (حزقيال٣٣: ٢٩). ونحن نلاحظ أنه عند إعطاء الناموس في المرة الأولى لم يذكر شيء عن خلاص النفس بالمرة لأن الخلاص لم يكن الهدف فلم تقال كلمة عنه. لكن في المرة الثانية إذا كان الإنسان شريراً- وقد ثبت شره، فها هي رحمة الله من نحوه، ها هو صوت الله يقول له: إن رجعت عن شرك وفعلت الصالح والمستقيم فإنك تُحيي نفسك- بمعنى أن الله يمحو الصفحة الملطخة من حياته، ويعطيه أن يقلب صفحة جديدة نظيفة. ولنلاحظ أنه في هذه الحالة إذا هو قلب صفحة جديدة عليه أن يحفظها نظيفة أيضاً وهذا معنى قوله "وفعلت الصالح والمستقيم". والناموس يرشد إلى هذا الصلاح وإلى تلك الاستقامة.

لكن بكل أسف كان هذا مستحيلاً في المرة الثانية كما كان مستحيلاً في المرة الأولى. كان مستحيلاً تماماً أن يجد الإنسان هذه الصفحة الجديدة النظيفة المطلوبة. الله يرفض الصفحة الملطخة والإنسان يعجز عن إيجاد الصفحة النظيفة. وكان الامتحان الثاني برهاناً على أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإنسان بلا قوة. فهو أثيم كافر بالله وهو بلا قوة أيضاً. وهذان هما الوجهان لحالة الإنسان الساقطة- الوجهان اللذان أظهرهما إعطاء الناموس في المرتين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخروج الثاني

انسحاب مجد الرب

من الهيكل ومن المدينة

هذا الاختبار الثاني- بإعطاء الناموس للمرة الثانية- استمر فترة طويلة من الزمان. ولأجل أن الله أعلن عن ذاته كمن يغفر، ويغفر، ويصفح جيلاً بعد جيل لكي يرى هل من بشر يوفيه مطاليبه؟ ولقد دخل الشعب الأرضي تحت ذلك العهد الذي وُضع فيه اللوحان داخل التابوت، لكننا نعرف أن ذلك التابوت نفسه حُمل في الأسر إلى بابل وأخيراً سلم الله في ذلك الشعب وتركهم، كما تتكلم عن ذلك نبوة هوشع وسماهم "لستم شعبي" (هوشع١: ٩). وبذلك انتهت التجربة الثانية. وغادر مجد الرب الهيكل، وللمرة الثانية خرج الرب من وسطهم ومن مدينتهم.

في الأسفار التي تسرد تاريخ الأسر البابلي نجد تعبيراً جديداً وعظيماً، فالله يُسمّى وقتذاك باسم "إله السماء". ولو رجعنا إلى الوقت الذي فيه عبر التابوت نهر الأردن عند دخول الأرض ليستقر في مكانه هناك، نقرأ هذا التعبير "تابوت عهد سيد كل الأرض" (يشوع٣: ١١) فالله كان له في إسرائيل مكانه على الأرض. كان يسكن بين الكروبيم. لكن بعد خروجه من وسطهم دعي "إله السماء".

ثم يأتي نبوخذ نصر ويُثبّت إمبراطوريته حيث كان يوجد عرش الله. وقد أقام الله هذا الملك ودفع المُلك إليه. "أنت أيها الملك ملك الملوك" (دانيال٢: ٣٧) فكل شيء بالنسبة للأرض أصبح في يد نبوخذ نصر وإذا كان الله يتسلط كما هو شأنه إلى هذا اليوم فإنما هو "سلطان في مملكة الناس".

عودة الشعب من السبي

على أن الله سمح لبقية من الشعب المسبي أن ترجع من بابل إلى الأرض مرة أخرى- إلى المدينة التي خربتها حماقتهم ورمّدها تمردهم على الله، لكي يعيدوا بناءها وليرمموا مذبحهم وهيكلهم. لكن هناك ذلك الفارق العظيم. لقد عادوا وبنوا السوار لكن لم يَعُد إلى هناك مجد الرب. لأنهم لما رجعوا بصفتهم "لوعمي" أي "لستم شعبي" ورجعوا تحت حكم الأمم (مملكة فارس التي سادت عليهم بسبب خطاياهم) ورجعوا بلا تابوت وبلا أوريم وتميم. فالتابوت يكون حيث يكون عرش الله. والأوريم والتميم كانت واسطة يتكلم بها الله إليهم عادة. فلم يكن لله مسكن في وسطهم. وكان الهيكل فارغاً ولم تكن لهم واسطة اتصال بالله. لقد أقام الله فيهم أنبياء مثل حجي وزكريا اللذين تطلعا إلى وقت مستقبل مقرين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومعرفين بالخراب الحال بهم. وكل رجاء هذين النبيين كان مُركزاً على مجيء المخلص العتيد.

كان الدرس الكبير في ذلك الوقت هو درس فشلهم. لم يكن الأمر بعدُ أمر حفظ الناموس على الإطلاق. لست أقصد بذلك أن الناموس أُلغي أو أُبطل، كلا لم يكن هذا هو موضوع الساعة. لقد ثبت فشلهم، ورجوعهم تحت سيادة الأمم كان هو المميز الذي تميزت به ظروف حياتهم عن سائر الظروف، التي سبقت. والآن، كما سبق القول إن الدرس هو أنهم كان يجب أن يقبلوا في اتضاع القضاء الذي وقع عليهم، وأن ينتظروا المخلص بانكسار قلب وبانسحاق روح.

انتهاء الوثنية وظهور الفريسية

لكن للأسف نحن نعرف ما هي قوة الشيطان وكيف بكل خديعة، يطمس قلب الإنسان عن طريق حماقته. والعجيب المدهش أنه بعد رجوعهم لم يرجعوا إلى الأوثان مرة أخرى.

لقد كانت هذه خطيتهم الخصوصية. ونحن نتذكر كيف إن النبي يتساءل: "هل بدلت أمة آلهة وهي ليست آلهة. أما شعبي فقد بدل مجده بما لا ينفع" (ارميا٢: ١١). كانت هذه خطيتهم من أيام البرية. أولاً كان هناك العجل الذهبي. وفي كل البرية "حملوا خيمة مولوك، ونجم إلهكم رمفان التماثيل التي صنعتموها لتسجدوا لها" (أع٧: ٣٤). إن الله أعلن لهم أنه الله الواحد لكنهم كانوا عبدة أوثان من قرارة قلوبهم. لكن عندما انسحب الله من وسطهم، وعندما زال المجد من هيكلهم، وعندما وجدوا أنفسهم في حالة الخراب التي حلت بهم. سرعان ما تقدم الشيطان، ليس في ثياب الوثنية، بل تقدم لكي يضع في قلوبهم رفض الحكم الإلهي عليهم، وعدم الاعتراف بقضائه الذي أوقعه. لقد تقدم لكي يزرع فيهم الادعاء بأنهم ليسوا "لوعمي"، بل إنهم شعب الله. وأن يتشدقوا بالقول "هيكل الرب. هيكل الرب". والواقع كانت "الفريسية" أكبر معالم تلك الفترة. والفريسية هي البر الذاتي الذي يرفض ويقاوم قضاء الله أن الإنسان عاطل من أي بر. وهكذا حتى عندما جاء المخلص المُتنبّأ عنه. وعندما، بطريقة عجيبة لم يسبق لها مثيل، كان المجد في وسطهم- نعم مجد الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب- المجد الذي كان ظله هو مجد المسكن في العهد القديم. عندما أتى فعلاً ذاك الذي كانوا ينتظرونه "كاالآتي"، وكان في وسطهم بالنعمة والمحبة، وكان على استعداد لأن يقبلهم بالرحمة والعطف، وقد أتى لا لكي يُخدم بل ليَخدم، ولا ليُطالب بل ليغدق بكلتا يديه ويعطي بلا حدود- يعطي كالله- نراهم للأسف يتلفتون بعضهم لبعض قائلين "ألعل أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به". كانوا فريسيين وبأيدي الفريسيين قُتل رب المجد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

الخروج الثالث

تألم الرب يسوع

خارج أبواب أورشليم

انسحاب المجد خارجاً

ولما مات رئيس الحياة ورب المجد، انسحب المجد من وسطهم مرة أخرى- خرج الرب خارج المحلة- خارج أورشليم، خارج المدينة المقدسة وخارج ذلك الشعب. بهذا أعني أن المجد انسحب خارجاً عندما تألم الرب خارج الباب، وكان ذلك خروجاً للمرة الثالثة. وثلاثة هو عدد أكثر مما يلزم للشهادة الكاملة. تكون الشهادة صادقة على فم شاهدين، لكن هنا نجد شهادة مثلوثة على أن قلب الإنسان ليس فيه شيء لله. إذ ليس فقط لما أخذ الناموس كسره. بل أيضاً للأسف اهتمام الجسد هو عداوة لله. وكان الصليب هو كل ما قدموه للمخلص المُنقذ. ولقد انسحب مجد الله خارج المحلة عندما تألم الرب يسوع خارج الباب. والآن لسنا نجد رفضاً صريحاً وحاسماً لذلك الشعب فقط، بل أيضاً نجد قضاءً صريحاً وحاسماً على الإنسان كإنسان. لقد ظهر أن الإنسان فاجرٌ، وظهر أنه بلا قوة في ذاته، وظهر أن اهتمام طبيعته البشرية عداوة لله، وهذه هي الدينونة بأركانها الثلاثة.

انتهاء اليهودية وإعلان الإنجيل

وهكذا تنتهي بالطبع الديانة اليهودية. ولماذا؟ لأن اليهودية هي الديانة التي فيها يطلب الله شيئاً لعله يجده في الإنسان. صحيح يعرف الله مُسبقاً ويعرف تماماً أن لا شيء لله في الإنسان، ويعرف كيف ينتهي المطاف. لقد نطق بحكمه على الإنسان من قبل أن يكون هناك ناموس على الإطلاق. لقد قال عنه "إن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم" (تكوين٦: ٥) وإنما كان الامتحان لإبراز هذه الحقيقة، والإنسان لم يُرِد أن يصدقها، لكنه قسراً جعلها تظهر اختبارياً. وكما قلنا فإن الديانة الناموسية التي رُتبت لأجل امتحانه- التي وُضعت لتكون واسطة لإثبات بره، إن أمكن ذلك، انتهت. وكان لابد أن تذهب وتنتهي (لأنها أظهرت وكشفت عجزه المطلق ولم تُقدم له أية قوة على الإطلاق). كان لابد أن تنتهي لأنه لم يكن في الإنسان شيء لله تبرزه هذه الديانة غير ذلك الذي حكم عليه الله قبل هذه الديانة بزمان طويل وهو "إن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم" (تكوين٦: ٥).

والآن، لنُلق نظرة فاحصة على تلك الديانة اليهودية. لقد كان فيها كل شيء يخلب قلب الإنسان الطبيعي. كان فيها كل شيء يجذب العيون مثل الطقوس والمراسم بمظاهرها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

اللامعة. وكان فيها كل شيء يجذب الآذان مثل أصوات آلات الغناء وألحان التسابيح. وكان فيها كل شيء يجعل الإنسان متديناً لأن جميع العلاقات الطبيعية كانت تُحرضه على ذلك فالأمة كلها، الأبناء والآباء، الشعب والقضاة كان مطلوب منهم أن يتبعوا الرب معاً. كان فيها كل دافع مؤثر على الإنسان. فالعواطف الطبيعية ومقتضيات العرفان بجميل الله عليهم وإحسانه إليهم بل ومصلحتهم الذاتية، لأنهم إذا هم أطاعوا تباركوا في السلة وفي المخزن، في المعجن وفي المعصرة. وإن كانت لهم آذان لتسمع وإن كان لهم قلب ليفهم وإن كان فيهم أي شيء لله، لصنع الله منهم ثمراً لنفسه. لأن كل شيء انتهى بالفشل. وكان الصليب هو حكم القضاء الرهيب على الإنسان بأنه ليس فيه أي من طبيعته البشرية أي شيء صالح. ولا بر وأكثر في ذلك لا قوة على الإطلاق. وأكثر وأكثر، لا جواب في قلبه على نعمة الله الكاملة. لقد صلب الإنسان رب المجد.

ومن هنا نفهم كيف أن الله احتمل بصبر أولئك الذين تشبثوا باليهودية رغم أنه قد أصدر حكمه عليها، وكيف كان بطيئاً في قطع كل الروابط التي كانت تشدهم إلى تلك الديانة. لكن وبالضرورة حتماً كان لابد أن يأتي الوقت الذي فيه تقطع هذه الروابط إلى الأبد. كان لابد أن يأتي وقت الفطام. وعند فطام اسحق مثلاً طُردت بعيداً طبيعة إسماعيل. إسماعيل وأمه كان يجب أن يُطردا من البيت. الناموس وبنو الناموس ينبغي أن يذهبوا. والآن كلمة الرسول لأولئك المؤمنين من العبرانيين تقول "لنخرج إذاً إليه خارج المحلة" بلا تأخير وبلا إبطاء. لنحس الأمر الآن. لنخرج كلنا معاً. والرب قد خرج خارجاً، فلنخرج إذاً خارج هذه الأطلال الخربة.

خراب الإنسان المطلق

والآن لنطبق هذا على حالتنا، فكما قلنا لم يكن هذا حكم إسرائيل وحده. هل نحن أفضل؟ هكذا يسأل الرسول. لقد أخذ الله تلك الأمة وتعامل معها وفقاً لأحكام الناموس لكن لماذا، ولأجل أي سبب؟ "نحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين في الناموس". ولأجل أي سبب؟ "لكي يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله" (رومية٣: ١٩) فلم يكن السبب لكي يصير إسرائيل وحده تحت قصاص من الله بل كل العالم أيضاً. وفي الواقع لم يكن الصليب جريمة إسرائيل وحدهم. ولم يكن اليهود وحدهم هم الذين صلبوا الرب يسوع، بل الأمم أيضاً. كان الصليب كما عبّر عنه الرب نفسه وهو يتطلع إليه هو "دينونة هذا العالم". فهو كان حكم دينونة هذا العالم وليس دينونة إسرائيل وحدهم.

دينونة مطلقة أو نعمة مطلقة

فإذا كان الإنسان قد رُفض هكذا بالتمام، وانتهى أمره كلية من جهة إمكانية وجود شيء فيه يصلح لله فماذا بقي؟ الجواب يبقى أمامه إما دينونة مطلقة وإما نعمة مطلقة ولا شيء آخر

 All rights reserved © 2008-2018

ينفع معه. ولا شيء وسط بين الاثنين. وهذه هي الحالة التي عليها الإنسان الآن. وليس كما يزعم الناس أنهم الآن تحت الاختبار ولا يعرفون ماذا يكون المآل. لكن الأمر صريح ولا غموض فيه. إن الناس ليسوا تحت الاختبار- لقد كانوا تحت الاختبار، وكانت النتيجة أنه "ليس بار ليس ولا أحد" (رومية٣: ١٠و ١١و ١٢) هذه هي دينونة العالم والإنسان كبشر، أسير مقيد تحت الدينونة وتحت الحكم. ليس هو أمام المحاكمة بل هو تحت الحكم فعلاً أي محكوم عليه.

ولكن ما أعظم إنجيل الله!! إنه إنجيل رحمة الله في وسط كل هذه الظروف التعسة. والسؤال الوحيد الآن هو: هل يقبل الإنسان البائس نعمة الله؟ ليس السؤال هو عما إذا كان الإنسان مُستذنباً أثيماً، لأن كل الناس خطاة أثمة مُستذنبون لدى الله. والمسألة ليست هي ما إذا كانت للإنسان فرصة أخرى للامتحان، لأن ليس هناك حجة جديدة يدفع بها الإنسان التهمة عن نفسه، بل المسألة الآن هي أن الله في نعمته الغنية- تبارك اسمه- يطلب الإنسان الهالك- الإنسان الفاجر الذي بلا قوة- الإنسان الخاطئ والعدو لله. هذا ما يقرره الرسول بولس الذي يعتبر نموذجاً تحققت فيه كل هذه التعبيرات حين يقول "لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" وأيضاً "ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه" (رومية٥: ٨، ١٠) هنا يتلاقى إنجيل نعمة الله مع الفُجار الضعفاء والأعداء. هذه النعمة المباركة مقدمة لكل من يقبلها.

التوبة والإيمان

والآن لنلاحظ أن من يقبل هذه النعمة يقبل في نفس الوقت حكم الله عليه. وإن هو لم يقبل حكم الله عليه لا يمكنه أن يقبل بالحقيقة النعمة المُقدمة له. من أجل ذلك يتمشى هذان المبدآن معاً. ومن الأهمية بمكان أن يقترنا معاً وخُلاصتهما التوبة والإيمان. وهما الأمران اللذان شهد لهما الله بواسطة بولس "التوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح" (أعمال٢٠: ٢١) فالتوبة هي قبول الإنسان الحكم الذي يرزح تحته، والإيمان، من الجهة الأخرى، هو قبول الإنسان للرحمة التي تُقدم له، وهو في هذه الحالة. وبسبب الأهمية البالغة التي لهذين الأمرين، نريد أن نقف قليلاً عندهما. فإن الكثيرين يفتكرون أن التوبة هي رجوع الإنسان وعمل ما هو حق ومستقيم، لكي يتمكن من التلاقي مع الله عند منتصف الطريق، ولكي يُحيي نفسه. وهذا ما قصد الله أن يُعلّمه لنا، بإعطاء الناموس للمرة الثانية، أنه غير ممكن وليس في طاقة الإنسان أن يفعله.

لكن جوهر الموضوع هو: هل يقبل الإنسان حكم الله عليه؟ هل يختم أن الله صادق؟ هل يتعلم ما هي حالته من شفتي الله نفسه ويحني رأسه ويعترف بسقوطه الذي هو فيه؟ إن ابن الإنسان جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك. لكن بدون أن يؤمن الإنسان أنه هالك ماذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يتبقى؟ بدون اليقين بأنه ساقط هالك، هو لا يحتاج إلى مخلص. وهذا ما يرسمه لنا لوقا في الإصحاح الخامس عشر من إنجيله. فالفريسيون يعيبون على الرب عندما يجدون العشارين يلتفون من حوله، فيصور لهم الحقيقة بهذا المثل "أي إنسان منكم له مائة خروف وأضاع واحداً منها ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده. وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال" (لوقا ١٥: ٤- ٦).

والآن ما هو تفسير الرب لهذا المثل؟ التفسير كان في منتهى الوضوح عند أولئك الذين كانوا من حوله وقتئذٍ. وكان تعليقه له المجد هو "أقول لكم إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة" (لوقا١٥: ٧) وكل الذين لا يعرفون أنهم هالكون ضالون لن يمكنهم أن يشعروا بمذنوبيتهم لمجرد رحمة الله. وهكذا كان أولئك الفريسيون الذين كانوا يتذمرون على نعمة الله. وماذا يسمي الرب الخاطئ الذي يتوب؟ إنه يسميه "خروفاً ضالاً". كان الرب يتكلم إلى القلوب وليس لمجرد التعليم، وكان يتكلم هكذا لكي يكسب قلوب الذين من حوله. وأولئك الخطاة المساكين، على الأقل أدركوا أن الخروف الضال كان يعني أشخاصهم. وأولئك الفريسيون أدركوا أيضاً أن التسعة والتسعين الذين لا يحتاجون إلى توبة كانوا هم أنفسهم. والواقع لا يوجد على الإطلاق أناس هكذا- الكل يحتاجون إلى توبة صحيحة.

إن الخروف الضال هو شخص وصل إلى نهاية ذاته ويدين بكل شيء للنعمة التي تذهب وراءه، تطلبه لكي تُخلّصه حيث وُجد. ومرة أخرى نوضح هذا الأمر من قصة أيوب- من كان أيوب؟ كان أفضل إنسان وليس مثله في كل الأرض. والله لكي يعلمنا الدرس- درس التوبة- لا يأخذنا إلى السجون- قد يفعل الناس هكذا- لكن الله يأخذنا إلى أفضل إنسان في الأرض، إنه يقول بصريح اللفظ عن أيوب: "ليس مثله في الأرض. رجلٌ كامل مستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر". لكن ماذا يفعل معه الله؟ إنه يجيزه في آلام لا مثيل لها- آلام جعلت من اسمه مثلاً، لكن لأي سبب؟ ماذا كانت كلمات أيوب الأخيرة؟ "أندم في التراب والرماد"- "أرفض (ذاتي) وأندم في التراب والرماد". هل كان أيوب يطوي صفحة ويفتح أخرى جديدة؟ هل كان نادماً على خطاياه؟ ولماذا كان إذن أيوب رجلاً كاملاً يتقي الله ويحيد عن الشر، إن كانت له خطايا يندم عليها ويبدأ صفحة جديدة؟ إن كان أيوب هذا يتعين عليه أن يبدأ صفحة جديدة فما أصعب مثل هذا الأمر على غيره. هل كان أيوب سكيراً تاب لتوه عن الكأس؟ هل كان مجرماً أُفرج عنه لتوه من السجن؟ أبداً كان أيوب رجلاً من أفضل الرجال على الأرض. فما الذي يتوب عنه أو يندم عليه- آه كانت ذاته... إنه رفض ذاته وندم في التراب والرماد. وماذا كانت توبة أيوب؟ هل كانت قلب صفحة جديدة والتمسك أكثر ببره واستقامته؟ كلا بل كانت توبته هي في رفض هذا البر الإنساني- هذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الادعاء بالبر وفي أن يأخذ مركزه أمام الله رافضاً ذاته. كان أيوب ابناً لله- كان قديساً. هذا ما يجعل الأمر أجّل وأخطر. "يا رب... لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي" (مزمور١٤٣: ٢).

فإن كانت هناك نفس- أية نفس- تحتاج إلى إنجيل الله فهذا الإنجيل هو حضور نعمة الله إلى تلك النفس حيث هي. تماماً كما حضرت نعمة الله وتقابلت مع شاول الطرسوسي على طريق دمشق. وماذا كان ذلك الرجل. هل كان يقول عن نفسه إنه أفضل إنسان على الأرض، كلا لقد وصف نفسه بالقول إنه "أول الخطاة". وتلك النعمة العجيبة تستطيع أن تتلاقى مع أول الخطاة كما تستطيع أن تتلاقى مع أفضل إنسان. لقد عمل شاول جهده لكي يمحو اسم المسيح من تحت السماء لكن الله تقابل معه هناك على طريق دمشق- تقابل معه ليس فقط وهو شرير وضعيف في ذاته بل أيضاً وهو عدو وقد صالحه لنفسه بموت ابنه. وتأملوا أن هذا تم خارج كل شيء في الإنسان- هذه المصالحة لم تنبع ولم تستند إلى شيء في داخل الإنسان. وليتبارك اسم الله لأن هذا هو الإنجيل المستحق كل قبول. هذا هو الخبر المفرح الذي يأتي إلى الإنسان حيث هو وكما هو. ويأتي إليه بخلاص كامل.

لكن نعود بالكلام إلى موضوع رفض الديانة اليهودية. هذه الديانة لم يطلب رفضها لأنها بلا قيمة- كلا بل من أجل أنها أكملت الغرض منها. إن تلك الديانة الناموسية والتي بحق تُشَبه بناظر المدرسة الصارم، وقد وضحت دروسها بكل جلاء. لكن كانت النتيجة أنه ولا واحد من تلامذتها الذين تلقوا تلك الدروس عمل شيئاً صالحاً. فإذا ما أقر بهذا الإنسان واعترف به فإن النعمة تستطيع أن تتقابل معه.

وهكذا كانت هاجر جارية سارة لكنها لا يمكن أن تأخذ مكانها.

وماذا تقول كلمة التحريض لأولئك المسيحيين من العبرانيين؟- "فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة" وما أخطره نداءً. تأملوا أين صليبه؟ ها هو ذا خارج الباب. لقد كان هناك شعب رعاه الله قروناً طويلة وتعامل معه بالرأفة والمحبة باستمرار، مخلصاً لهم المرة بعد المرة، ومظهراً أمام عيونهم قوته وسلطانه، معطياً إياهم وصاياه واحدة بعد واحدة، ومرسلاً إليهم أنبياءه، ومعلماً إياهم بكل عناية حتى ذلك الوقت. فماذا فعلوا هم؟ ماذا فعلوا عندما جاء ذاك الذي تكلم عنه جميع الأنبياء ليفتقد خاصته؟ لقد رفضوه رفضاً باتاً. وهذا هو بالتمام حالنا جميعاً. هذا هو ما نحن عليه فعلاً بعيداً عن نعمة الله.

لذلك نحن نلاحظ أن الرسول بولس عندما يتكلم إلى الكورنثيين يخبرنا قائلاً "وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة... كنت عندكم في ضعف وخوف ورعدة كثيرة وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله" (١كو ٢: ١- ٥) كذلك يقول "نحن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة" (١كو١: ٢٣)- كأنه يقول: نحن نكرز بمسيح لم يمتدح أن يُزَكِّ نفسه لدى العالم. نعم هباء وفارغة هي محاولة اجتذاب القلب البشري إلى المسيح بفصاحة اللسان أو بالحكمة العقلية أو بأية قوة بشرية، وإنما بقوة روح الله المبارك فقط يُجتذب قلب الإنسان إلى الله.

المسيح تجرع كأس الموت والدينونة معاً

لكن قبل أن ننتقل إلى مسافة أبعد، لِنُلقِ نظرة أخرى على صليب ربنا يسوع المسيح. نريد أن نرى ما فيه من كفارة. كان الموت مطلوباً بصفة حتمية، لأن الإنسان كان تحت حكم الموت، وكان لازماً أن يأتي ربنا يسوع ليحمل هذا الحكم. لكن هل كان المطلوب هو الموت فقط؟ إن الموت هو حكم الله على الإنسان فهل لم يكن هناك ما هو أكثر من الموت؟ نعم هناك ما أكثر لأن الكتاب يقول "إن بعد الموت الدينونة" (عبرانيين٩: ٢٧) فإن كان لازماً أن يقف ابن الله في مكاننا لكي يخلصنا، هل كان يكفي أن يأخذ موتنا؟ كلا بل كان يلزم أن يأخذ أيضاً الدينونة.

المسيح كذبيحة الخطية

وتأملوا الآن كيف يوضح الكتاب هذا الأمر. يقول الكتاب: "فإن الحيوانات التي يُدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة تُحرق أجسامها خارج المحلة" (عبرانيين١٣: ١١). وواضح إذن أن صنفنا واحداً من الذبائح هي التي يُدخل بدمها إلى الأقداس لكي تُقرّب أمام الله وتلك هي الذبائح عن الخطية. ونحن لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع. وأين هو هذا الدم؟ إنه في أقداس الله، فوق غطاء التابوت قدام الله. لكن أي دم هذا الذي يُدخل به إلى هناك؟ كانت هناك ذبائح كثيرة لها قيمتها. كانت هناك ذبيحة خروف الفصح والمحرقات وذبائح السلامة وذبائح الإثم بالإضافة إلى مختلف الدرجات من ذبائح الخطية. من بين كل هذه الذبائح كانت هناك ذبيحة واحدة فقط كان دمها يُدخل به إلى الأقداس ويوضع على غطاء التابوت. وكان لها وحدها الفاعلية لفتح الطريق إلى الأقداس حيث عرش الله. فماذا كانت تلك الذبيحة؟ إنها تلك التي كان جسمها يُحرق خارج المحلة.

لماذا تحرق خارج المحلة؟

وما معنى هذا؟ هناك المعنى العظيم العميق الذي لا يُعبّر عنه- هناك ما معناه أن الموت وحده لا يكفي- الموت وحده بغصصه ومرارته- أي سفك الدم وحده لا يكفي، بل كان يلزم أن يُخرج بجسم الذبيحة إلى خارج المحلة أي يخرج بجسمها خارج دائرة الاعتراف الرسمي بكل علاقة اسمية مع الله. هذه هي المحلة. وطوال المدة التي كان المسيح في علاقة مع ذلك الشعب الأرضي هناك كانت المحلة. والأبرص مثلاً كان يُنفى إلى خارج

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المحلة. وخارج المحلة هو مكان الأنجاس، المقطوعين، مثل الأبرص، ليس فقط من الشعب بل أيضاً من الاقتراب إلى الله رب الجميع. هناك نُفي عُزّيا ورغم كونه ملك إسرائيل، كان هناك لأنه أبرص بسبب خطيته.

هذا في معناه الحقيقي هو المصير الذي ينتظر كل إنسان مذنب في حق الله. هذه هي دينونة الخاطئ الذي إذ يرفض الله، فإن الله في بره يرفضه، خارجاً، إلى مسافة رهيبة، ومن ذا الذي يعرف ما هي هذه المسافة؟ (ونشكر الله لأننا لا نعرفها). نحن الآن في عالم لم تزل تهطل عليه رحمة الله كشروق الشمس على الصالحين والطالحين أو كطلب المطر على الأبرار والظالمين. هنا في هذه الدنيا فقط حيث رأفة الله تترفق وعطفه يتأنى ومحبته تتحنن- هنا فقط يجرؤ الناس على أن يحلموا بأن في استطاعتهم أن يستغنوا عن الله. لكن الاستغناء عن الله ليس أقل من جهنم عينها. الاستغناء عن الله هو "الظلمة الخارجية" التي يتكلم عنها الكتاب، حيث لا يوجد شعاع واحد من النور. وشكراً لله لأننا لا نعرفها، وليت كل من يقرأ هذه السطور يظل بعيداً عنها وعن معرفتها. وإنما واحد فقط عرفها وكان محتوماً أن يخرج منها ثانية. أما نحن الذين أعطينا أن نقف بجوار المصلوب في ساعة حزنه العميق، فلنا أن نلمح صورتها من الخارج إن كنا لا نستطيع (وفعلاً لا نستطيع) أن ندخل إلى حقيقتها الباطنة.

كيف لفت الظلمة مشهد الصليب!!

وماذا تعني تلك الظلمة التي احتوت الصليب في رابعة النهار؟ يفسرها الناس بأن الطبيعة كانت ترثي لسيدها. وهذا هو كل تفسيرهم لها. لكنها لم تكن شيئاً من هذا بالمرة. إن الله نور، والظلمة هي انسحاب هذا النور. لقد توارى الله عن المشهد. ومن غياهب هذه الظلمة يُعلن الله عن طبيعتها، عندما تنطلق من شفتي قدوس الله تلك الصرخة الرهيبة "إلهي، إلهي لماذا تركتني؟" (مزمور٢٢: ١) هذه هي ذبيحة الخطية. وهذه هي الفدية المحروقة خارج المحلة، وهذا هو الطريق الوحيد الذي نسلكه من مسافتنا البعيدة- البعيدة جداً عن الله.

اختبار الترك من الله!!

كان هو ابن الحضن ومع ذلك لما جُعل خطية لأجلنا وهو الذي لم يعرف خطية كان لازماً أن يعرف معنى الترك من الله. ومن مكان بعدنا السحيق عن الله لم يكن هناك ما يفتح الطريق أمامنا رجوعاً إلى الله غير دم فدية تُحرق خارج المحلة. لم يكن هناك مذبح في ذلك المكان ومن ثم حُرقت تلك الذبيحة على الأرض- حُرقت ذبيحة الخطية المقدسة. وماذا كان ذلك المذبح؟ إن المذبح الذي يقدس القربان هو بكل تأكيد رمز لشخص الرب يسوع المسيح نفسه. هذا هو الذي أعطى الذبيحة قيمتها. إن عظمة شخصه وسمو قدره ومقامه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هي التي أعطت ذبيحته عظمتها وسموها وقيمتها. وكمال شخصه جعل لذبيحته كمال القبول عند الله. هذا ما نراه في قربان المحرقة.

لكن في ذبيحة الخطية نرى ديونة الخطية دون أن نرى- إذا جاز التعبير- شخص الذبيحة. إنه يضع نفسه في مكان الخاطئ كما لو كان هو المخطئ دون أي فكر عن كماله الشخصي ليزيح الديونة الواجبة جانباً. إن جزاء الإنسان هو الموت والدينونة، ولقد حمل المسيح كليهما. حمل الدينونة في نفسه أمام الله. ولأن الإنسان كان تحت حكم الموت فقد مات أيضاً. ولكل من هذين الوجهين مكان في العمل الكفاري. وتجاوباً مع الوجه الواحد انشق حجاب الهيكل في الوسط، وتجاوباً مع الوجه الآخر تشققت الأرض وأخرجت أمواتها. وما أجملها شهادة لكفاية العمل وما أُنجز. لقد انشق حجاب الهيكل لأن الظلمة انجلت من أمام وجه الله، ودينونة الخطية رُفعت وفي مقدور الإنسان أن يقترب. ولكل من يؤمن به، انجلت الظلمة وانقشعت إلى الأبد. لكن أيضاً ذهب الموت. ومفاتيح الهاوية والموت أصبحت في منطقة المخلص المُقام. لذلك سلَّمت الأرض أمواتها. وفي هذا كمال العمل.

وهكذا نرى أنه ليس فقط كان يلزم أن يموت المسيح. كلا وحذار من الوقوع في هذه الغلطة وهي أن مجرد موت المسيح كان كافياً. تأملوا المزمور الثاني والعشرين، فإن موت المسيح هناك كان موتاً لم يسبق له مثيل. كان موته موت البار، لكن متى تُرك أي بار أو تخلى عنه؟ وعمن من الأبرار حجب الله وجهه؟ بحسب الظاهر يبدو أن الله يُسلمه لمرام أعدائه- نعم يبدو أنه جعله يجتاز الموت في أقسى صورة، لكن ما ذلك إلا لكي يجعل نصرته أعظم روعة وأثبت يقيناً. كان المسيح هناك خادماً للمؤمنين، ليحول ظل الموت إلى صباح مشرق. كان هناك ليسند نفوسهم، وبعصاه وعكازه يعزي قلوبهم. كان المسيح موضوع مسرة الله، وفي ساعة حاجته القصوى تُرك. لماذا؟ هنا يستطيع الإيمان أن يجاوب. ولو دققنا النظر في كلمات ذات المزمور لوجدنا الجواب. كانت صرخة المتألم: "لماذا تركتني؟" وسرعان ما يقول "وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل" (ع٣). وبهذا وحده أمكن لإلهٍ قدوسٍ أن يسكن بين تسبيحات شعبه.

هذا هو الصليب، وماذا أجد في الصليب؟ أجد دينونة الإنسان كاملة، لكنها الدينونة التي قبلها في نفسه ذاك الذي رضي أن يقف مكان الإنسان. ونحن لن نستطيع أن ندرك هذا الصليب دون أن نُقّر ونعترف بأن الدينونة هي دينونتنا. فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة. إنه هناك. وكان لازماً أن يخرج إلى هناك، ونحن يلزمنا أن نخرج إليه هناك.

للمفديين السلطان أن يأكلوا من المذبح

في الفصل الذي نتأمله من رسالة العبرانيين نجد كل بركة متضمنة لنا في هذه الذبائح. لقد جئنا إلى الله على أساس ذبيحة الخطية ثم بعد ذلك نجد مذبحاً، لنا سلطان أن نأكل منه. لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نأكل من ذبيحة الخطية لأن لا مذبح هناك لها (عند مرمى الرماد)، بل نأكل من ذبيحة السلامة التي قُرِّب جزءٌ منها أُصعد لله وجزءٌ يأكله مقدم الذبيحة وجزء للكاهن، وهكذا الله والإنسان الوسيط بين الله والناس (المسيح رمزياً) يستطيعون أن يتكئوا وأن يتقاسموا الشبع والفرح. نجد مذبحاً من جهة أصعدت عليه الذبيحة لله، ومن جهة أخرى تهيأت من نفس الذبيحة مائدة للإنسان. "لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه". فهل ندرك نحن معنى هذا الكلام؟ معناه أننا لا نستطيع أن نخدم المسكن وفي نفس الوقت نأكل من هذا المذبح. وكيف يمكن أن نجمع بين الاثنين؟ إن معنى موت ربنا يسوع المسيح هو انقضاء كل ما هو يرتبط بالديانة اليهودية. وكل أساسات المسيحية هي خارج هذه المحلة. ويلزم أن نخرج خارجها. لأنه خرج، وهناك مكانه.

المذبح الخالي من الذبيحة

فلنخرج إذاً إليه. هناك مذبحنا. وهو مذبح أُصعدت من عليه الذبيحة. هو مذبح خالٍ من أية ذبيحة. هل ندرك هذا؟ إن كنا مسيحيين فنحن نؤمن يقيناً بهذا المذبح الخالي. لقد تم العمل ولا يحتاج إلى إتمام. أكمل مرة واحدة وإلى الأبد. وصار المذبح لنا خالياً. وهو خالٍ لأن الذبيحة أصعدت لله وقبلت.

ذبائح التسبيح تتصاعد من على المذبح الذهبي

وما الغرض من هذا المذبح الخالي؟ يقول الرسول "فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح". والمذبح هو الذي يُقدّس ما يُقرب عليه. والرب يسوع المسيح هو الذي يعطي تسبيحاتنا قوة للصعود إلى الله. وبه نحن نقدم- ليس ذبيحة كفارية الآن- بل ذبيحة التسبيح، لأن الكفارة تمت.

هل ندرك الآن أننا عبرنا من الدار الخارجية إلى القدس- من مذبح المحرقة إلى مذبح البخور الذي هو الآن- بعد أن شُق الحجاب- في ذات محضر الله. لقد تركنا مذبح الذبيحة وجئنا إلى مذبح الكهنة في القدس. جئنا لنُقدم ذبائح التسبيح كل حين أي ثمر شفاه معترفة باسمه. وما أحلى وما أشهى هذا الثمر. حلو وشهي أن يكون في مقدورنا أن نأتي إلى الله معترفين باسم ربنا يسوع المسيح قدامه. ولا يوجد ما هو أحلى وما هو أشهى من الاعتراف الصادق بربنا يسوع لدى قلب الله. إنه يجد لذته وسروره لما يرى نفساً يملأها الإحساس العميق بقيمة المسيح، تقترب إليه وليس لها ما تتكلم به إلا اسم يسوع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فعل الخير والتوزيع

لكن هناك شيء آخر. فهذا المذبح الذهبي هو مذبح تتصاعد من عليه ذبائح التسبيح كل حين ولا شيء غير التسبيح. وهل هناك شيء آخر يمكن أن يتصاعد من عليه؟ نعم هناك شيء ليس هو في حقيقته "آخر" من جهة طبيعته- هناك "فعل الخير والتوزيع" لأنه بذبائح مثل هذه يُسرّ الله. ههنا ذبائح أخرى وقرابين تُقرّب على مذبح البخور. ليس ثمر الشفاه فقط بل الحياة.. أي صفات الحياة المسيحية. هذا شيء جميل وحسن يستغرق مجلدات من الإطناب والإعجاب وفيه الكثير من التعليم أيضاً. إن الحياة المسيحية هي ذبيحة تسبيح لله تتماوج فيها قيمة وغلاوة الرب يسوع المسيح وعمله.

معرفة الخلاص الكامل الأبدي

هي الأساس للتسبيح

وهل هناك مسيحي يعتبر الحياة المسيحية شيئاً آخر غير هذا المعنى؟ نعم للأسف، هناك ممن يسمون مسيحيين يرون في الحياة المسيحية معنى مختلفاً، بل ومما يحزن يشاركهم في هذا النظر بعضٌ من المؤمنين. إن التسبيح في كل قلب مخلص تقي. لكن هناك أولويات ينبغي أن تُعرف قبل أن تكون الحياة ما يجب أن تكون عليه. في مقدمة هذه الأولويات- (التي بدونها لا يكون الله معروفاً معرفة صحيحة) هو الخلاص- الخلاص الكامل الأبدي. وإن لم تُعرف هذه الحقيقة، وإن لم تمتلك النفس هذا الخلاص، فلن تستطيع النفس أن تحيا لله مهما كانت متدينة بل رغم تدينها تحيا للذات وليس لله. بدون امتلاك هذا الخلاص، فإن الخوف هو الذي يمتلكها و "الخوف له عذاب"- يحل الخوف محل المحبة التي بها وحدها يعمل وينشط الإيمان. لأنه كيف يمكن أن تكون الحياة ذبيحة تسبيح وشكر لله الديان الذي أمام عرشه يحتمل أن تسمع النفس حكم الدينونة؟- كلا إن العبد الأجير ليس له بالضرورة مكان في وليمة الفصح، بل ينبغي أن تعرف النفس قيمة عمل المسيح إن كان لابد أن تكون حياتها ذبيحة شكر على مذبح البخور، لأن تلك الذبيحة المقربة على هذا المذبح هي اعتراف باسمه وكرامة هذا الاسم ولا شيء آخر.

والآن نعود مرة أخرى إلى هذا التحريض الذي يستحث به الرسول أولئك المسيحيين العبرانيين إذ يقول "فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة". هل لهذا التحريض تطبيق علينا؟ قد يقول قائل: إذا كانت المحلة هي الديانة اليهودية فنحن لسنا يهوداً. نعم صحيح إن اليهودية ليس لها أية جاذبية علينا ومن ثم لا نخشى خطرها. لكن كم يكون التصرف تافهاً لو أننا في أمر جليل الأهمية كهذا أقفلنا باب المناقشة على هذه الصورة. فقد تكون اليهودية بجوهرها موجودة. مع أنه قد لا توجد بالمرة طقوسها ومراسمها. وحتى عندما نقول اليهودية بجوهرها، ليس شرطاً أن يُفترض أن يكون رفض المسيح عنصراً في هذا الجوهر. إن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رفض المسيح هو خطية اليهود الخصوصية وليس هو خطأ الطقوس والمراسم- هذه الطقوس والإجراءات الرمزية التي وضعها الله لهم في البداءة هي التي يحرّضهم الرسول أن يتركوها.

لقد مر بنا ما هو جوهر الديانة اليهودية. إنه امتحان الإنسان، وقد وضع الامتحان بترتيب دقيق، وكان لازماً. ولم يكن الامتحان للإنسان فقط بل كان امتحاناً لطرقه أيضاً. ونحن نعرف بكل وضوح أن الله لم يكن يلزمه لأجل نفسه، أن يضع مثل هذا الامتحان. لأنه عرف الإنسان وحكم عليه من قبل أن يعطيه الناموس بزمان طويل. لكن الإنسان لم يعرف نفسه ولم يرد أن يقبل حكم الله عليه الواضح والصريح. وإذ هو لم يعرف نفسه ولا عجزه عن أن يقف أمام الله، اتجه بفكره دائماً إلى صورة ما من صور حفظ الناموس. وإن كانت هاجر هي صورة رمزية للناموس كما يقول بولس، فإن الله وجد هاجر في خيمة إبراهيم. إن الله لم يضع هاجر أولاً في خيمة إبراهيم لكنه وجدها هناك في علاقة مع رجل الإيمان وإذ وجدها هناك طردها حتى تتم عملية الامتحان. ويكون لإبراهيم منها إسماعيل، وكان ذلك لكي يتحقق إبراهيم أن إسماعيل ليس هو النسل، وأن هاجر ليست هي التي منها يتكاثر إبراهيم.

المسيحية اليوم هي محلة أخرى!!

وكل ديانة بشرية هي في الواقع صورة للناموس في شكل أو في آخر. أما النعمة فهي فكر الله الأصلي، الفكر الذي ما تصوره الإنسان قط. بل وبكل أسف عندما أعلن الله هذا الفكر أشاح الإنسان بوجهه عنه، كما حدث في كنيسة غلاطية، لكي يتعاملوا أيضاً مع الناموس. فإن كان الإنسان لا ينكر صراحة المسيح، لكنه يلحق بالإيمان به وصايا ناموسية وطقوساً وأساليب جسدية تجعل للجسد ثمراً أياً كان هذا الثمر. إنه يعترف بالمسيح لكنه يعود به إلى المحلة مرة أخرى، وهذه هي حال المسيحية اليوم. وإذا نحن تطلعنا إلى ما حولنا لوجدنا كل مقومات اليهودية في كل مكان في الشكل الظاهري وفي التعليم تحت أسماء مسيحية لا تُغير من طبيعتها ولا تَحّد من تأثيرها.

تأملوا الديانات التقليدية إنها تعترف بأن المسيح قد جاء وأنه قد مات لكنها إلى هذا الحد فقط وتُصّر على أن عمله ليس كافياً وحده للخلاص. وقيمة ذبيحته الواحدة هي أنها تُضفي كرامة قدسية على نظام يهودي ذي قرابين بلا عدد، تحجب هذه الذبيحة الواحدة وتكسف نورها. وفي الواقع هذه الذبيحة الواحدة الكافية هي الظل وتلك الطقوس هي الحقيقة في كل ديانة تقليدية. لأن التقليديين يعتبرون أنهم يكررون تقديم الذبيحة في الطقوس وبذلك يساوون بين المسيح وبين الذبائح الحيوانية، التي يقول الرسول عن تكرارها إنه بسبب عدم نفعها وبسبب إن تلك الذبائح لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية. والخلاص، كنتيجة حتمية،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لن يقول كل هؤلاء أن الخطية قد رُفعت أو نُزعت. وكثيرون من هؤلاء ينكرون يقينية الخلاص بل وآخرون غيرهم ينزلوا بغفران الخطايا إلى مجرد غفران شرطي لا يمكن أن يحقق للنفس التعيسة المثقلة سلاماً مع الله. ومتى كانت هذه هي الحال فإن النعمة لا تُعرف في تلك الدوائر. وحيث لا تُعرف النعمة فهناك يحل محلها شكل ما من الأعمال- أي شكل ما من أشكال الناموس- وهذان هما الأمران اللذان يقرر الرسول تعارضهما حين يقول "فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال وإلا فليست النعمة بعد نعمة. وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة. وإلا فالعمل لا يكون بعد عملاً".

وحيث توجد هذه الأنظمة والتقاليد فلابد أن تكون هناك "محلة". جماعة من المتدينين على أساس ناموسي لا يقين عندهم من جهة نتيجة امتحانهم ولا نستطيع أن نقرر من جهتهم ما إذا كانوا مؤمنين حقيقيين أم لا، وطبعاً لا يمكن للمؤمنين منهم أن يعتزلوا عن غير المؤمنين، وحجتهم كما يقولون "أن الزوان والحنطة ينميان معاً إلى وقت الحصاد"- لكن كلا فإن الغالب هو أن العالم يتجمع هناك ويتشكل بالشكل المسيحي ومن ثم تأخذ الخدمة المسيحية شكلاً متوائماً مع روح العالم.

عند ذاك تُجتذب الأذن والعين وكل الحواس كما كان قديماً في اليهودية بلا أدنى اعتبار لصليب المسيح الذي يتضمن أن الإنسان ليس فقط فاجراً وضعيفاً بل أيضاً أن فكر الجسد هو عداوة لله. وهذه هي الحقيقة الخطيرة والرهيبة. لو أنها جهالة في الإنسان فالتعليم كفيل بمحو هذه الجهالة- كما يزعم البعض إلى يومنا هذا. ولو خرجنا إلى المسيح خارج المحلة لرفضنا هذا الزعم. وإذا تحققنا الإدانة الكاملة للإنسان كله يصبح المسيح وروحه القدوس فقط هو الموئل الوحيد.

 All rights reserved © 2008-2018

ملخص لما سبق

كانت المرة الأولى التي فيها انسحب الرب خارج المحلة بعد حادثة العجل الذهبي. وكانت المرة الثانية كما رأينا عندما فارق مجد الرب الهيكل، وحزقيال وحده هو الذي رأى ذلك وبعد خروجه جاء نبوخذ نصر وثَبّت كرسيه في مكان عرش الله الذي خلا منه. وحينئذ تمت شهادة الناموس ونطق بحكمه: "ليس بار ليس ولا واحد".

ثم عندما تجمعت بقية من ذلك الشعب مرة أخرى تمت سيادة ملوك الفرس لكي يبنوا الهيكل لم يكن ذلك لكي يواصلوا قضية سُويت تماماً وانتهت بل لينتظروا مثقلين بالشعور بخرابهم رجاءهم الذي يأتيهم بالنعمة ليخلصهم. وفي ذلك الوقت بكل أسف تربعت الفريسية التي ابتدعها رئيس هذا العالم لينفخهم بالبر الذاتي حتى يرفضوا نعمة الله. في ذلك الوقت جاء ابن الله ولمع مجده بلمعان فائق أكثر مما لمع في كل تاريخهم السابق ولكنه انسحب إلى خارج مدينتهم عندما مات رب المجد على الصليب. وانتهى امتحان الإنسان وقتذاك وانكشفت حالته تماماً. وانتهت الديانة اليهودية لكي يأتي في مكانها الإيمان المسيحي الثمين.

لكن جهد الشيطان الآن يعمل بكل الطرق لكي يهدم مجد ذاك الذي هو وحده حكمة الله وقوة الله لخلاص الإنسان.

فهل ندرك هذا؟ هل نخرج إليه خارج كل ما ابتدعه الإنسان من أشباه المحلة اليهودية، حاملين عاره؟ لأن هناك عاراً لابد أن نحمله- عاراً في صور مختلفة وبمقاييس متفاوتة بقدر ما يكون انفصالنا عن هذه المحلة كاملاً أو غير كامل. هناك عار لابد أن نحمله رغم ما نرى من امتداد الإنجيل الذي من أجله نشكر نعمة الله. ينبغي أن نخرج إليه خارج كل هذه الأنظمة البشرية الكثيرة التي ما زالت تردد القول بأن الأمل في البشرية لم يُفقد تماماً ويعلقون الرجاء على شيء ما غير المسيح وغير روحه القدوس ليشفيها من جرحها العميق. هذا الأمل المزعوم يُضاد صراحة ما يقوله الروح القدس إن الكرازة بالإنجيل لليهود عثرة ولليونانيين جهالة. وإن كرازة الروح القدس ليست بسمو الكلام ولا بالحكمة البشرية بل ببرهان الروح والقوة.

إن كان المسيح خارج المحلة، فلنخرج إذاً إليه والخروج هكذا ربح وليس خسارةً. والخسارة الحقيقية هي ما يعوقنا عن الخروج إليه وعن الاستمتاع معه بالشركة الكاملة. "فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com